البصرة وعلاقاتها بالقوى الاقليمية من خلال كتاب دليل الخليج ﴿﴿ القسم التاريخي ﴾﴾ لجون جورون ـ لوريمر

الاستاذ الدكتور
طيبة خلف عبد الله
جامعة البصرة – كلية الاداب

الملخص

يعد كتاب جون جوردن لوريمر

Gazetteer of the Persian Gulf Oman and Central Arabia .

والمترجم الى ((دليل الخليج)) احدى الموسوعات التأريخية الاقليمية لمنطقة الخليج العربي منذ بداية الوصول الاوربي الى المنطقة وحتى بداية القرن العشرين . وقد وضع الكتاب لخدمة المصالح البريطانية في مرحلة معينة من الزمن ولكنها في الحقيقة من اهم المرحل في تاريخ منطقة الخليج العربي .

ونظراً لغزارة المادة التأريخية المتعلقة بالبصرة سواء ما يتعلق منها بالاوضاع الداخلية او علاقاتها مع القوى الاقليمية والاوربية ، فقد ارتأينا تحديد نطاق بحثنا فقط على علاقة البصرة مع القوى الاقليمية في تلك المرحلة وابرزها ايران والكويت وعربستان .

Abstract

Basrah and its relationships with regional powers through the book ((The Gulf Guide)) ((historical part)) by J. J. Lorimer .

The book by john Gordon Lorimer ((Gazetteer of the persion Gulf , Oman and central Arabia)) which was translated into ((The Gulf guidej)) is considered as one of the regional historical encyclopedias since the beginning of the Europian reach to the area until the beginning of the 20th century . This book was written for the benefit of the british colonists for a period of time .

Because of the rich historical material about Basrah in this book , we decided to determine our research on the relationship of Basrah with the regional powes in that time like Iran , Kuwait and Arabstan .

يعد كتاب جون جوردن لوريمر

Gazetteer of the" Persian Gulf " ,Oman and Central Arabia .

احدى " الموسوعات التأريخية الاقليمية " لمنطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية منذ بداية الوصول الاوربي الى المنطقة وحتى بداية القرن العشرين . ويذكر لوريمر الهدف من اعداد هذه الموسوعة هو اصدار دليل سهل لموظفي الحكومة البريطانية ودبلوماسيها العاملين في المنطقة بعد تزايد اهمية الخليج العربي (١) .

واصدر اللورد كيرزون اوامره بجمع مواد هذا الدليل عام ١٩٠٣ – وكلف لوريمر بالاشراف على فريق من موظفي حكومة الهند البريطانيـــة لاعداده . وفي عام ١٩٠٤ – ١٩٠٥ قام لوريمر يعاونه مستر ج. س. هـ . جابرييل الذي كان مرشحاً لوظيفة سياسية في حكومة الهند وتم تعيينه بها بعد ذلك ، قاموا معاً بجولة في الخليج العربي من اجل جمع المعلومات . ومن الاماكن التي زارها لوريمر في ذلك الوقت مسقط وصحار والشارقة والبحرين والكويت والبصرة وبغداد وكربلاء والمحمرة وبوشهر وبندر عباس وجاسك (٢) .

اعتمد لوريمر على عدد كبير من المصادر العلمية منها تقارير الرحالة الذين سبقوه ، غير ان اعتماده الاهم في تدوين الحوادث المعاصرة او القريبة العهد منه كان بالدرجة الاولى على تقارير المعتمدين البريطانيين وغيرهم من الرجال العسكريين ورؤساء الوكالات التجارية والمعلومات السرية التي وضعتها الحكومة بكاملها تحت تصرفه (٣) .

وتأسيساً على ذلك جاءت اهمية المعلومات التي تضمنتها الموسوعة من خلال قرب مؤلفها من احداث الخليج حيث عمل موظفاً في قسم الخدمات المدنية بحكومة الهند التي تشرف في ذلك العهد على المصالح البريطانية في منطقة الخليج العربي من النواحي السياسية والعسكرية والتجارية من خلال شركة الهند الشرقية

البريطانية (٤) . فضلا عن تقلده عدة مناصب في وكالة الخليج العربي والعراق وعربستان .

يقع كتاب لوريمر في قسمين القسم التاريخي والقسم الجغرافي ويتكون القسم التاريخي في الاصل من مجلدين يحتويان على (٢٧٠٠) صحيفة ويشمل المجلد الاول منهما على تسعة ابواب أخص فيه المؤلف تاريخ كل منطقة على حده حيث ذكرت عمان وساحل الصلح وقطر والبحرين والاحساء والكويت ونجد والعراق . اما المجلد الثاني فيشمل على بابين العاشر والحادي عشر اختص به عربستان والساحل الايراني ومكران . كما اورد المؤلف (١٧) ملحقاً فيها دراسة جيدة للاحوال الجوية والمناخية والصحية وطبقات الارض ومصائد اللؤلؤ وانتاج التمور ومصائد الاسماك والملاحة والنقل والديانات والمذاهب والارساليات ومراكز التلغراف والبرق وتجارة الرقيق والاوبئة والاسلحة والتمثيل الدبلوماسي وغيرها . كما انه الحق بالكتاب ١٧ شجرة نسب للاسرة الحاكمة في الخليج (٥) .

اكمل لوريمر القسم الجغرافي وهو خلاصة جغرافية واجتماعية للمنطقة كما كانت عليه في عام ١٩٠٤ ويقع في مجلدين عام ١٩٠٨ . اما القسم التاريخي فقد تم اعداده للنشر بواسطة لوريمر عندما عاجلته المنية في اوائل عام ١٩١٤ وكانت جميع الاجزاء مكتوبة ما عدا المقدمة وفهرس ومحتويات الكتاب . وقد تمت كتابتها من قبل صاحب التوقيع (ل. بيرد وود) (٦) .

كان العمل يعدّ وثيقة سرية كانت توزع على موظفي الحكومة البريطانية العاملين في الخليج العربي وفي حدود ضيقة ايضاً حتى عام ١٩٦٠ حين اذنت الحكومة البريطانية بنشره بعد ان مضى عليه خمسون عاماً فانتفت عنه صفة السرية (٧) .

ولاهمية هذا الكتاب بوصفه مصدراً لتاريخ الخليج ، وخاصة تاريخ الدول والامارات المطلة عليه وعلاقاتها مع بعضها ، صدرت لهذا الكتاب ترجمتان باللغة

العربية احداهما في سلطنة عمان تحت عنوان ((السجل التأريخي والجغرافي للخليج وعمان واوسط شبه الجزيرة العربية)) . وجاءت الترجمة في تسعة عشر مجلداً . اما ترجمة قطر فقد اعدها قسم الترجمة بديوان حاكم قطر ((احمد بن علـي آل ثاني)) تحت عنوان ((دليل الخليج)) وجاءت الترجمة في اربعة عشر مجلداً . سبعة منها تضمنها القسم الجغرافي وسبعة اخرى للقسم التأريخي . وقد صدر منه طبعتان ، الاولى صدرت عام ١٩٦٧ والثانية صدرت عام ١٩٧٦ .

يعدُّ كتاب دليل الخليج في جملته تاريخاً للمصالح البريطانية ، بل انه وضع لمصلحة جماعة من المستعمرين في مرحلة معينة من الزمن ولكنها في الحقيقة من اهم المراحل في تاريخ هذه المنطقة . وقلّ ان يوجد كتاب او مؤلف القى ضوءاً على الاحداث التي جرت في تلك السنين بمثل الدقة والشمول اللذين جاء بهما كتاب لوريمر(٨) .

وقال عنه مؤرخ بريطاني " لم يكتب لوريمر تأريخاً للخليج ، ولا للدور البريطاني فيه ولكنه صنع هيكلاً يمكن للباحثين العمل عليه " (٩) . وقد وصف الملحق الادبي لجريدة التايمز اللندنية عام ١٩٧١ القسم التأريخي في الموسوعة بأنه " هائل " في محتواه ووصف القسم الجغرافي بأنه " بلا بديل معاصر " وقالت ايضاً مجلة تأريخية امريكية عام ١٩٩١ ان الموسوعة " مصدر لمواضيع متنوعة كالتواريخ السياسية والاقتصادية والبرقيات ومعاجم القبائل ،فان ما جمعه لوريمر هو بلا مثيل"(١٠) .

البصرة في دليل الخليج :

وردت المادة المتعلقة بالبصرة في الجزء الرابع من القسم التأريخي والذي عبر عنه لوريمر بـ ((العراق التركي)) فضلا عن مادة متناثرة في الاجزاء الاخرى . فقد رتب لوريمر المادة التاريخية المتعلقة بالبصرة ترتيباً زمنياً قائماً على تسلسل الاحداث التأريخية منذ عام ١٦٠٤ عندما زار الرحالة البرتغالي بيدرو

تيكسير (pedro Teixeria) البصرة ووصفها بأنها مكونة من عشرة الآف بيت معظمها من البيوت الكبيرة ، وعدد منها عبارة عن اكواخ ويحيط بالمدينة خندق مملوء بالماء . وكان يحكم المدينة باشا تركي تحت امرته قوات يبلغ عددها حوالي ثلاثة الآف رجل من الاتراك والاكراد والعرب . وفيها دار للعوائد . وكانت بالمدينة بعض المدافع . اما بالنسبة للسفن البحرية المستخدمة لحفظ الامن فهي قليلة . ويضيف تيكسير بأن اهم صادرات البصرة هي التمور وكانت تنقل الى بغداد والى عدد من الموانئ الايرانية والى هرمز . وكانت معظم تجارة البصرة مع ايران والقطيف والاحساء والبحرين وهرمز (١١).

ونظراً لغزارة المادة التأريخية المتعلقة بالبصرة سواء ما يتعلق منها بالاوضاع الداخلية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً او علاقاتها مع القوى الاقليمية والاوربية . فقد ارتأينا تحديد نطاق البحث فقط على علاقة البصرة مع القوى الاقليمية في تلك المدة وابرزها ايران والكويت وعربستان . وفيما يلي عرض لطبيعة هذه العلاقات ، كما وردت من المعلومات في كتاب لوريمر .

كان الاستقرار السياسي النسبي الذي شهدته البصرة عندما اصبحت تحت الحكم العثماني ، وظهور بوادر التقارب العثماني – البرتغالي قد ساعدت على ازدهار التجارة قياساً عما كان عليه في المراحل السابقة ، فازدادت الرحلات البرتغالية والانكليزية والفرنسية والهولندية الى المنطقة ، لايجاد مراكز تجارية هناك (١٢) .

منذ اوائل القرن السابع عشر وحتى عام ١٦٦٩ اصبحت البصرة تحت حكم افراسياب وكان الاخير يعامل الاجانب المقيمين في بلده معاملة طيبة ، وقد ازدهرت التجارة في عهده . ويبدو ان ازدهار البصرة التجاري قد اغاض الايرانيين فقرروا السيطرة عليها كي لا تتركز التجارة فيها . وتحدث لوريمر عن مطالب الايرانيين من افراسياب ان يصك عملات ايرانية ، وان يستبدل سلطان تركيا بشاه ايران في الدعاء على المنابر ، وان يأمر اهل البصرة بان يعقدوا عمائمهم على الطريقة الايرانية ، وفي حالة الموافقة على هذه الشروط ، سوف يجعل حكم البصرة وراثياً

لافراسياب ولابنائه من بعده وان يعفهم من دفع الجزية ، ويترك لهم مطلق الحرية في ادارة شؤونهم الداخلية(١٣) .

جاء رد افراسياب بالرفض وهنا امر الشاه عباس خان شيراز في نهاية عام ١٦٢٤ بالسير الى البصرة والاستيلاء عليها . ويقول لوريمر ان الجيش الايراني نزل في عربستان ونجح في الهجوم على قبان – التي كانت تعدُّ في ذلك الوقت من اعمال البصرة – واستولى عليها ، ولكنها انقذت بمساعدة السفن البرتغالية ، فأرغمت الغزاة على التراجع (١٤) .

وتحدث لوريمر ايضاً عن هجوم الايرانيين في عام ١٦٢٥ ، حيث قامت القوات الايرانية مرة اخرى بقيادة امام قلي خان بهجوم جديد على اقليم البصرة وكان افراسياب قد توفي وخلفه ابنه علي باشا في باشوية البصرة (١٥) ، وينقل لوريمر عن الرحالة الايطالي بيترودي لافالي الذي كان موجوداً في البصرة في آذار عام ١٦٢٥ ، كان الفزع يسود المدينة وكان اعتماد الباشا على خمسة سفن برتغالية . ويصف استعداد الاهالي في الدفاع عن البصرة ونجدة الباشا . وفي يوم ١٩ آذار خرج الشيخ عبد السلام على رأس عدد كبير من المتطوعين لنصرة الباشا (١٦) .

في ٢٣ آذار أنسحبت القوات الايرانية من البصرة ، ولم تكن قوات الباشا قد اوقعت بهم اية خسائر بعد . ولم يذكر لوريمر سبب الانسحاب فقط اشار الى انه " استدعاء عاجل " ، وبذلك زال الخطر عن المدينة ودخل الباشا بقواته الى البصرة وسط مظاهر الانتصار (١٧) .

عاود الايرانيون في عام ١٧٣٥ هجومهم على البصرة ، ويقول لوريمر لا نعرف على وجه التحديد ما حدث . ولكن في عام ١٧٣٦ وقعت الهدنة بين الايرانيين والعثمانيين . وهنا يسترسل لوريمر في الكلام عن حصار الايرانيين لمدينة البصرة في ٢٨ آب ١٧٤٣ وبأوامر من نادر شاه رفع الحصار في ٢٧ تشرين الثاني ، وانسحبت القوات الايرانية بمدفعيتها من امام المدينة في ٥ كانون الاول بعد ان دمرت اثناء حصارها بعض المباني (١٨) .

وتوالى ذكر الاحداث ففي شباط عام ١٧٧٣ طلب كريم خان من متسلم البصرة تعاون السلطات البريطانية والعثمانية معه وتقديم اساطيلها للهجوم على امام عمان ، وهدد بغزو البصرة اذا لم يجب الى مطلبه . ولكن في نهاية نيسان جاءت الاخبار من شيراز بان الايرانيين لم يتخذوا اية استعدادات لحملتهم على البصرة . وبدأ واضحاً ان كريم خان قد اجل عملياته الهجومية (١٩) .

وفي ١٥ كانون الثاني عام ١٧٧٥ وصلت الانباء الى البصرة بان قوات ايرانية مكونة من حوالي خمسين الف رجل قد غادرت شيراز لمهاجمة البصرة . وكان حجة كريم خان هي سوء المعاملة التي لقيها الزوار الايرانيون في العراق التركي حتى زاروا الاماكن المقدسة . ويبدو ان كريم خان قدم طلباً الى الاتراك بالتعويض او تقديم اعتذار ولكن اهمل الطلب (٢٠) .

وهنا يسترسل لوريمر في الكلام عن وصول قوات ايرانية في صباح ١٦ آذار الى مصب صويب المؤدي الى شط العرب الى الضفة اليسرى من النهر الرئيسي ، وعلى بعد ٣٥ ميلاً اعلى البصرة . وكانت في مواجهتهم قوات عربية كانت قد عسكرت قبل عدة ايام على الضفة اليمنى من شط العرب ، لمنع عبور الغزاة . ويذكر لوريمر كانت تضم محاربين من قبيلة لعلها المنتفق . وبعد ظهر اليوم نفسه وصل البصرة مبعوث من صادق خان يحمل رسائل لكل من متسلم البصرة والوكيل البريطاني وشيخ العرب وزعماء الجاليتين الارمنية واليهودية ، يطالبهم فيها بارسال ممثلين عنهم كي يتفاوضوا معه بشأن افتداء المدينة . لكن المبعوث طرد دون ان يتلقى أي رد (٢١) .

ابتدأ لوريمر بوصف الاستحكامات التي اتخذت لحماية مدينة البصرة ثم تحدث عن العمليات العسكرية بدقة في الساعة واليوم . وعن شجاعة رجال البصرة ومتسلمها في صد هجوم الايرانيين . فقد ذكر لوريمر من المتصدين ايضاً لهجوم القوات الايرانية الشيخ ثامرر ورجاله من قبيلة المنتفق (٢٢) .

استمر لوريمر في وصفه صمود اهالي المدينة ومعاناتهم امام الحصار الايراني وذكر ان المنجمين والعرافين يأمرون القوات الايرانية بتأجيل الهجوم كلما اتخذ قرارا بذلك . ورغم استمرار العمليات العسكرية الا ان الايرانيين لم يحرزوا الا نجاحاً ضئيلاً في عملياتهم وقد جاء في خطاب كتب يوم ٢٠ نيسان ((ان رجال قبيلة المنتفق وغيرها من قبائل العرب مجتمعون لحماية البصرة ، وان الصحراء تفيض بالمحاربين ، ولا خطر على البصرة من الجيش الفارسي))(٢٣) .

وفي آب عام ١٧٧٥ وصل اسطول ارسله امام عمان لمساندة الاتراك . واتخذ موقعه عند مدخل شط العرب . فأمن السيطرة على هذا النهر مدة ما ، وكانت السلطات التركية قد وعدت العمانيين بمكافأة مادية ، وفي الاتجاه الاخر حصل الايرانيون على مساعدة قبيلة كعب (٢٤) .

صمدت مدينة البصرة امام الحصار سنة كاملة ، وبعد ان يئس المدافعون من وصول امدادات لهم من بغداد . يقول لوريمر في ١٥ نيسان ١٧٧٦ قام الوجهاء والاعيان العرب في البصرة وما حولها بزيارة صادق خان في معسكره لاتخاذ اجراءات تسليم المدينة . وفي صباح اليوم التالي ((تم استيلاء الفرس على البصرة)) ويضيف لوريمر كان شرط الاستسلام ينحصر في ((معاملة اهل البصرة باحترام لارواحهم وممتلكاتهم وعائلاتهم)) (٢٥) .

وقد استعرض لوريمر الاوضاع الداخلية في البصرة خلال مرحلة الاحتلال الايراني ١٧٧٦ الى عام ١٧٧٩ وعلاقة الايرانيين بأهالي البصرة وبالوكالة البريطانية . وينقل لوريمر عن يوميات الكولونيل ج. كوبر الذي وصل البصرة من حلب في ١٨ كانون الاول عام ١٧٧٨ انه وجد البصرة يخيم عليها الحزن ((وكانت الشوارع الرئيسية اشبه بالمدافن ، ولا يفصل القبر عن الاخر اكثر من ثلاثة اقدام)) (٢٦) . ويضيف لوريمر ((ان التجارة الخاصة التي يمارسها الاوربيون في البصرة وصلت الى نقطة النهاية في عهد الاحتلال الفارسي)) (٢٧) .

ويبدو ان احتلال الايرانيين للبصرة قد شكل عبئاً ثقيلاً الى جانب انه مشروع خاسر من وجهة النظر الاقتصادية . ولهذا ما ان علم صادق خان بوفاة اخيه كريم خان في ٢ آذار عام ١٧٧٩ حتى انسحب من البصرة لرغبته في العرش وحاجته الى الحامية التي تحتل البصرة في هذا الامر ، وبذلك عادت البصرة دون حرب الى السلطة التركية(٢٨) .

اما بالنسبة لعلاقة البصرة بالكويت فقد تحدث عنها لوريمر حتى عام ١٩٠٥ في الجزء الثالث ، الخاص بتاريخ الكويت . ذكر لوريمر انه في عام ١٧٧٥ كان ينظر الى الكويت على انها تابعة الى البصرة ، وعند احتلال الفرس للبصرة لم يقع الضرر على الكويت – كما كان متوقعاً – فجزء كبير من تجارة البصرة قد تحول اليها بعد الاحتلال . كما بدأ ارسال البريد الصحراوي من الخليج الى صحراء حلب يتوجه الى طريق الكويت بدل الزبير ، واستمر هذا الاجراء طوال احتلال الفرس للبصرة حتى عام١٧٧٩(٢٩) .

ونقل لوريمر انه في عام ١٨٢٩ كان شيخ الكويت قد اعترف بخضوعه للاتراك وانه يدفع اليهم كل سنة جزية سنوية قدرها (٤٠) كيساً من الرز و (٤٠٠) سباطة من التمور ، وانه يتلقى في كل سنة خلعه تكريماً له (٣٠) . ثم تحدث لوريمر عن المساعدة التي قدمها شيخ الكويت عام ١٨٣٦ للاتراك في القضاء على تمرد اهل مدينة الزبير . وقد لجأ احد شيوخ عائلة الزهير في مدينة الزبير ويدعى يعقوب الى الكويت .. ومن هناك قيل انه باع للشيخ إمارة ((الصوفية)) في اقليم المعامير بشط العرب . وقد اثارت هذه الحادثة التي يذكرها لوريمر بالتفصيل مشاكل كثيرة فيما بعد(٣١) .

استمر لوريمر في الحديث عن العلاقة الوثيقة بين الكويت والحكومة التركية في عهد عبد الله بن صباح الذي حكم الكويت منذ عام ١٨٦٦ وحتى وفاته عام ١٨٩٢ . وقال عنه لوريمر ((كان مطبقاً ومتحمساً لان يكون اداة للسياسة

التركية)) . ويؤكد لوريمر ان عبد الله كان ((قائمقاماً)) للحكومة التركية في الكويت من المراسلات التركية التي رأت ان الكويت اصبحت تابعة لتركيا في الوقت الذي اصبحت فيه الاحساء كذلك عام ١٨٧٠ (٣٢) .

ويبدو ان العلاقة بين البصرة والكويت لم يطرأ عليها أي تغيير بعد وفاة عبد الله الصباح في عام ١٨٩٢ ومجئ الشيخ محمد الصباح (١٨٩٢ – ١٨٩٦) . لكن الوضع الداخلي في الكويت شهد تغيراً في نجاح الشيخ مبارك بتولي السلطة في آيار ١٨٩٦ بعد قتل اخويه الشيخين محمد وجراح والمشكلة التي اثيرت وهروب ابناء اخوته الى البصرة، حيث ناصرهم وتولى قضيتهم قريبهم – من ناحية الام – يوسف بن عبد الله وهو تاجر ثري من كبار ملاك الاراضي في ولاية البصرة ، وبذل الاخير كل جهد لاقناع والي البصرة . او حتى ابن رشيد بتبني قضية هؤلاء الابناء . وانتهز كل الفرص لازعاج الشيخ مبارك (٣٣) .

اما موقف السلطات التركية من الشيخ مبارك فيذكر لوريمر كان في بداية الامر محايداً. ورغم ان مبارك اعترف بولائه للسلطان ورفع العلم التركي الا انه ظل زمناً طويلاً دون ان يدخل في مفاوضات او مباحثات مع السلطات التركية . ولكن في كانون الاول ١٨٩٧ صدرت ارادة سلطانية بتعيين الشيخ مبارك قائمقاماً للكويت وبدأ اسم الشيخ يتردد بعد ذلك في التقارير الرسمية للولاية وجعلوا له راتبا شهريا (٣٤) .

رغم الاعتراف بالشيخ مبارك قائمقاما – ظل التوتر قائما في العلاقات بين الشيخ والسلطات التركية. وتناثرت شائعات عن احتمال ارسال قوات تركية من البصرة الى الكويت (٣٥) . وشهدت الشهور القليلة التالية جهوداً متواصلة من جانب السلطات التركية في البصرة - ربما نتيجة معرفتهم باتفاقية الحماية التي عقدتها الحكومة البريطانية مع الشيخ مبارك في ٢٣ كانون الثاني ١٨٩٩ لتأكيد سيطرتهم على الكويت (٣٦) .

وتحدث لوريمر عن الاجراءات التي اتخذها الشيخ مبارك – عن طريق التآمر في البصرة – لمواجهة النتائج التي تنجم عن سياسته غير المهادنة مع تركيا ، ونجح بالتعاون مع نقيب البصرة في نقل حمدي باشا والي البصرة آنذاك – وكان مسؤولاً نزيهاً ولكنه لم يكن محبوباً – وعين بدله في خريف عام ١٨٩٩ محسن باشا وهو ضابط عسكري ونجح الاخير في تحسين علاقة الشيخ مبارك مع الباب العالي (٣٧). وبذلك يمكن القول ان الهدوء ساد العلاقات التي تربط الكويت بولاية البصرة .

وهنا يسترسل لوريمر في الكلام عن عدم توقف العداء بين ابن الرشيد والشيخ مبارك . ففي نهاية تشرين الاول ١٩٠٠ ظهر ابن الرشيد في السماوة على الفرات ، وطلب من الحكومة التركية تعويضاً عن الاضرار التي الحقها سعدون باشا برعاياه وتعويضاً آخر من شيخ الكويت وانصافاً لابناء اخوته ، وهدد بالهجوم على الكويت اذا لم يجب الى مطالبه (٣٨) .

ويذكر لوريمر انه استطاع كل من السيد احمد والسيد طالب ابني نقيب البصرة من اقناع ابن الرشيد بالرجوع الى مقره ، واقناع شيخ الكويت بمقابلة والي البصرة في الرافضية – في منزل ريفي يملكه النقيب هناك بالقرب من مدينة الزبير وبذلك منع وقوع صدام بين قوات ابن الرشيد وقوات الشيخ مبارك . وفي ١٧ تشرين الثاني وصل مبارك مع الوالي صديق محسن باشا الى البصرة وفي اليوم التالي تلقى وساماً مجيدياً من الطبقة الثانية ، ووعد بان لا يقيم اية علاقات ((بالدول الاجنبية)) وعاد في ٢٤ من الشهر نفسه الى الكويت (٣٩) . ويضيف لوريمر ان خضوع الشيخ مبارك لتركيا كان خضوعاً كاذباً فقد كان ينتهج بالفعل سياسة مستقلة كل الاستقلال (٤٠) .

وقد استعرض لوريمر محاولة الاتراك تغيير الوضع القائم في الكويت ، ففي منتصف تشرين الثاني عام ١٩٠١ وبعد ان تحرك ابن رشيد هابطاً من الحفر

الى صفوان قام نقيب البصرة بزيارة الى الكويت حسب اوامر برقية من سلطان تركيا ، ليحذر الشيخ مبارك من نتيجة التهور والطيش في اعماله هذه . وتكررت المحاولة بعد اسبوعين من هذا التاريخ ، حين رست السفينة التركية ((زحاف)) في ميناء الكويت في الاول من كانون الاول تحمل النقيب وشقيق والي البصرة ، وقدم إنذارا تركيا للشيخ يطلب منه اما قبول حامية تركية عسكرية ، على ان تكون تابعة لاوامره . او السفر للتقاعد بعيداً في القسطنطينية او ما جاورها . وفي ٣ كانون الاول طلب الشيخ امهاله ثلاثة ايام يقدم بعدها اجابته (٤١) .

اسرع مبارك بالاتصال بالمقيم السياسي البريطاني حيث رأى ان ما قام به النقيب يعد خرقاً للتفاهم القائم بين تركيا وبريطانيا ، ولم تسمح الاخيرة باي هجوم على الكويت ولا بمغادرة الشيخ الكويت . وبعد فشل الاتراك في خلع الشيخ مبارك يذكر لوريمر استمرار الاتراك في مضايقة الشيخ مبارك ففي اواخر كانون الاول ١٩٠١ صدرت التعليمات من القسطنطينية بمنع تصدير البضائع من البصرة الى الكويت فزاد من المخاوف ، واتخذت القوات البحرية البريطانية استعداداتها للدفاع عن الكويت . وبعدها صدرت الاوامر برفع المنع (٤٢) .

استمر لوريمر في ذكره الاساليب التي لجأت اليها الحكومة التركية لمضايقة شيخ الكويت . ففي اوائل كانون الثاني ١٩٠٢ قام الاترك باحتلال ((ام قصر وصفوان وجزيرة بوبيان)) (٤٣) ومنذ هذا التاريخ بدأت مشكلة الحدود بين ولاية البصرة والكويت .

كما تعرض لوريمر الى قضية الخلاف بين شيخ الكويت وابناء اخوته حول املاك الاسرة في البصرة منذ عام ١٩٠١ وحتى عام ١٩٠٤. وكانت الاراضي المتنازع عليها منتشرة في جارديلان وجزيرة العجيراوية بالقرب من البصرة وزين المواجهة لمصب نهر الكارون وفي صوفية باقليم الدواسر وفي الفاو . وقد ظل الشيخ مبارك يؤجل المشكلة لمدة سنتين ، فقد اصدرت محكمة البصرة حكماً غيابياً

يقضي بان يسلم الشيخ لابناء اخوته ضيعة الزين . ولجأ الشيخ مبارك الى السلطان التركي عام ١٩٠٢ والذي امر بتعيين لجنة لحسم الخلاف . واخيراً تم التوصل الى اتفاق بين حاجي منصور ممثلاً عن الشيخ مبارك وعبد الوهاب آل قرطاس ممثلاً عن الجانب الاخر ومستر كراو القنصل البريطاني في البصرة ، وبعد تصديق اللجنة على هذه الاتفاقية وقبول الاطراف المتنازعة لها ارسلت كوثيقة رسمية الى البصرة في ١١ تموز ١٩٠٤ وهناك اعتمدها والي البصرة ومجلس الولاية والقنصل البريطاني ايضاً . وكان الخلاصة العامة لهذه الاتفاقية عد الاملاك الموجودة في الفاو ملكية خاصة ومطلقة للشيخ . في حين يمتلك الطرف الاخر الاملاك الاخرى ومبلغ نقدي قيمته ٧٢٩٦,٧٥٠ ليرة عثمانية(٤٤) .

من الملاحظ ان الشيخ مبارك اظهر مواقف مسالمة تجاه الاتراك خوفاً على ممتلكاته في البصرة . وهذا ما تحدث عنه لوريمر بان الشيخ مبارك قدم بعض الخدمات الى السلطات التركية في البصرة ، جعلت علاقته بالاخيرة اكثر وداً . ففي آب عام ١٩٠٥ ساهم الشيخ بمبلغ (٤٥٠) ليرة عثمانية لبناء ثكنات تركية جديدة في البصرة ، وحين قبلت هذه العطية من جانبه اعلن الشيخ ولاءه للسلطان ووعد بدفع (٢٠٠) ليرة عثمانية اخرى (٤٥) .

اما بالنسبة لعلاقة البصرة بعربستان فقد تحدث عنها لوريمر في الجزء الخامس من القسم التأريخي الذي ابتدأ بتاريخ عربستان واكمل بتاريخ الساحل الايراني والجزر .

نقل لوريمر عن الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيير انه عبر شط العرب عام ١٦٠٤ فوجد المنطقة كلها شرقي ذلك النهر تحت حكم مبارك بن المطلب ، وهو زعيم عربي كان يطالب بالبصرة . وكان في حرب دائمة مع الاتراك ويضيف لوريمر ان مباركا كان واحداً من " ولاة الحويزة " الذين حكموا عربستان او الجزء الاكبر فيها قبل ظهور قبيلة كعب (٤٦) .

وينقل لوريمر عن الرحالة الايطالي بيتر ودي لافالي الذي زار البصرة عام ١٦٢٥ ، وكان مبارك قد توفي من سنوات . وعين شاه ايران المنصور آخا مبارك حاكماً على الحويزة . ويبدو ان المنصور كان ميالاً الى التعاون مع باشا البصرة والاتراك ، فقد رفض طلب الشاه ان ينضم الى الحملة الايرانية على بغداد عام ١٦٢٣ . وفي النهاية غضب الشاه عباس وامر المنصور بالمثول امامه متوعداً اياه بقطع رأسه . وامام تعنت المنصور ارسل الشاه الامام قولي خان على رأس قوة لتآسر او تقتل منصورا ولكن الاخير هرب الى البصرة . ويؤكد لوريمر ان هذه الاحداث وقعت عام ١٧٢٥ قبل الهجوم الايرانـــي على البصرة (٤٧) .

وهنا يسترسل لوريمر عن هجرة كعب الى عربستان ونمو قوة كعب للمدة من ١٧٠٠ وحتى ١٧٦٦. وفي عام ١٧٦٩ ساعدوا متسلم البصرة ضد قبيلة المنتفك . ورغم العلاقات الطيبة التي سادت بين قبيلة كعب والاتراك الا انه في عام ١٧٧٣ ساءت هذه العلاقة وحاصر الكعبيون شط العرب معطلين تجارة البصرة (٤٨) .

وعندما ظهرت الشائعات عن نية كريم خان الاستيلاء على البصرة . اكد شيخ كعب لمتصرف البصرة بأنهم لن يتعاونوا مع الايرانيين . وتوالى ذكر الاحداث وفي كانون الثاني عام ١٧٧٥ عندما بدأت تزداد المخاوف من الهجوم الفارسي على البصرة سبب الكعبيون فزعاً كبيرا لاهالي البصرة . وظلت مضايقات قبيلة كعب للبصرة مستمرة بل وتزايدت ايضاً (٤٩) . ففي ليلة ٢٥ – ٢٦ كانون الاول من السنة نفسها استطاعت عصابة من رجالهم تضم اكثر من ثلاثمائة رجل الدخول ليلاً الى المدينة عن طريق تسلق الاسوار وكسروا عدداً من المتاجر في السوق الكبير ، واستطاعوا ان ينجوا دون عقاب (٥٠) . ولكي يضع متصرف البصرة حداً لهذه الاعمال فقد قوى حرس المدينة باستئجار عرب من الزبير والزام المواطنين بالمشاركة في الرقابة والحراسة (٥١) .

وفي ٢١ آذار قدم اسطول بني كعب المساعدة للايرانيين في حصارهم للبصرة وبذلك تراجعوا عن وعودهم السابقة (٥٢) . واستمرت العلاقات بين كعب والبصرة غير واضحة ومتأرجحة .

ومنذ عام ١٨٩٦ وحتى عام ١٩٠٥ حافظ الشيخ خزعل في تعامله مع جيران الاتراك حكام ولاية البصرة على استقلاله ، ولكن دون ان يتحرش بهم كما كان يفعل سلفاه الشيخ جابر والشيخ مزعل ، وكانت مصالحه في الاراضي التركية كبيرة وناشئه جزئياً من ولاء اعداد كبيرة من رجال قبيلته ممن يزرعون اراضي غرب شط العرب . ولم يتوان عن ان يضيف الى املاكه بمشتريات جديدة الى الاملاك التي خلفها له ابوه واخوه في ((العراق التركي)) . ويضيف لوريمر الى تمتع نائب الشيخ خزعل في البصرة الميرزا ((حمزة)) وهو رعية تركية بنفوذ واحترم عظيمين ، ولكن القوة المتزايدة للشيخ كانت محل حسد الموظفين الاتراك (٥٣) . واصبح الاحتكاك بين البصرة والمحمرة معتاداً.

الهوامـــش

(١) خالد سعود الزيد ، الكويت في دليل الخليج لـ : جي . ج. لوريمر ، جـ ١ / السفر التأريخي ، ط١ ، (الكويت ، ١٩٨١) ، ص ١١ .

(٢) ج. ج. لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التأريخي ، ط١ ، ترجمة مكتب امير دولة قطر ، ص أ .

(٣) المصدر نفسه ، ص حـ .

(٤) المصدر نفسه ، ص أ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ب .

(٦) المصدر نفسه ، ص هـ .

(٧) المصدر نفسه ، ص أ .

(٨) المصدر نفسه ، ص د .

(٩) http : //ar . Wikipedia . org

(١٠) Ibid

(١١) لوريمر ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٧٥٨ .

(١٢) طارق نافع الحمداني ، البصرة في رحلة الايطالي ديللافاليه في القرن السابع عشر الميلادي ، مجلة دراسات تأريخية، العدد العاشر ، آيار، ٢٠١١ ، ص ٢٤ .

(١٣) لوريمر ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٧٦١ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٦٢ .

(١٥) المصدر نفسه .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٦١ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٧٦٢ ــ ١٧٦٣ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ١٧٦٣ ــ ١٧٦٤ .

(١٩) للتفاصيل يراجع : المصدر نفسه ، ١٧٨٣ ــ ١٧٨٤ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٨٤٩ ــ ١٨٥١ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٨٥٢ ــ ١٨٥٣ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٥٤ .

(٢٣) للتفاصيل راجع : المصدر نفسه ، ص ١٨٥٧ ــ ١٨٦٣ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٥٤ ــ ١٨٥٦ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٦٩ ــ ١٨٧٠ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٧٢ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٧٩ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٨٨٠ .

(٢٩) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٣٠) لوريمر ، المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٥ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص ١٥١٣ .

(٣٢) للمزيد من التفاصيل راجع : المصدر نفسه ، ص ١٥٢٠ ــ ١٥٢١ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٢٢ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٢٥ ــ ١٥٢٦ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٢٧ ــ ١٥٢٨ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٣٣ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٣٦ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٣٨ .

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٤١ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ص ١٥٤١ ـ ١٥٤٢ .

(٤١) المصدر نفسه ، ص ١٥٤٦ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٤٦ ــ ١٥٤٨ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٤٩ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٥٨ ــ ١٥٥٩ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٦٢ .

(٤٦) لوريمر ، المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٣٩٥ ــ ٢٣٩٦ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩٦ ــ ٢٣٩٧ .

(٤٨) راجع ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٩٧ وما بعدها .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢١ .

(٥٠) لوريمر ، المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٣ .

(٥١) لوريمر ، المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٤٢١ .

(٥٢) للمزيد راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٤٢١ ــ ٢٤٢٢ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥٨ ــ ٢٥٥٩ .